

الأفعال التوجيهية في الحوارات الأسرية القرآنية

أ.د. فلاح حسن كاطع م.م. حيدر شمخي غليم

الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم اللغة العربية

Alwasti2027@yahoo.com

ملخص:

يسعى البحث للوقوف على مواضع الأفعال التوجيهية في الحوارات الأسرية القرآنية، وقد تضمن القرآن الكريم مجموعة من الحوارات الأسرية في مقامات خطابية مختلفة، وتعد هذه الحوارات مادة لغوية مهمة؛ لأنها تجري داخل أهم مؤسسة اجتماعية تُعنى بالفرد منذ ولادته، وهي تقع في صميم الدرس التداولي الذي يُعنى بدراسة اللغة في واقعها الاستعمالي، وتعد السلطة العامل الأساس في إعطاء الفعل التوجيهي قوته الإنجازية، وكانت السلطة الأسرية في مجموعة من الحوارات مُعززة بسلطة خارجية دينية أو دنيوية، وقد رصد البحث مجموعة كبيرة من الأفعال التوجيهية التي تختلف في أساليبها وأغراضها وشدها باختلاف سياقاتها المقامية، فقد استعمل الأمر والنهي والاستفهام والخبر المضمن للتوجيه في درجات متفاوتة من الشدة للإلزام والنصح والرجاء والتحريض والتخيير والإنكار والتعجب.

الكلمات المفتاحية: القرآن - الحوار - التداولية

Guiding verbs in the Qur'anic family dialogues

Haider Shamkhi Cleim Al-Joorani

Prof. Dr. Falah Hassan Gatea

Summary:

The research seeks to find out the positions of directive actions in the Qur'anic family dialogues. The Holy Qur'an includes a group of family dialogues in various discursive modes, and these dialogues are an important linguistic subject. Because it takes place inside the most important social institution concerned with the individual since his birth, and it is at the core of the deliberative lesson, which deals with the study of language in its use reality. The authority is the main factor in giving the directive act its achievement power, and the family power in a group of dialogues was reinforced by a religious or worldly external authority. To direct, in varying degrees of intensity, to oblige, advise, please, incite, betray, deny and wonder.

key words: Qur'an – Dialogue – Pragmatic

توطئة:

تختلف التداولية عن غيرها من المناهج اللسانية بأنها تُعنى باللغة في واقعها الاستعمالي؛ أي إنها تنظر في فاعلية السياقات اللغوية داخل المقام الاجتماعي، والتداولية ترى ((أنَّ للغة وظيفة أخرى تتجاوز الوظيفة الوصفية، وهي الوظيفة العملية... فباستعمال اللغة نحن لا نصف العالم بل نحن نُحقِّق أعمالاً لغوية)) (١)، وهذا يعني أنَّ الوظيفة العملية هي الأساس الذي قامت عليه الدراسة التداولية، وهو ما عُرف بـ(نظرية الأفعال الكلامية) (٢) التي تُعدُّ عماد التداولية وأسبق مباحثها، وقد حظيت بالجزء الأكبر من اهتمام الباحثين (٣) بل يمكن القول إنَّ بداية التداولية تُورِّخ بظهور هذه النظرية (٤).

نشأت نظرية الأفعال الكلامية عند فلاسفة مدرسة أكسفورد ولاسيما الفيلسوف البريطاني (جون أوستن) وتلميذه الفيلسوف الأمريكي (جون سيرل)، ويُعدُّ أوستن رائد نظرية الأفعال الكلامية ويُعبَّر عنه بأنه أبو التداولية (٥).

وما يعيننا في هذا البحث تصنيف سيرل للأفعال الكلامية؛ لأنّ البحث يعتمد على أحد أقسامه، وقد عُني سيرل منذ البداية بالفعل الإنجازي من دون غيره، فهو يرى أنّ هذا الفعل وحدة الاتّصال الإنسانيّ وليس اللفظ أو الجملة، أي إنّه الوحدة الأولى للاتّصال (٦)، وقد اعتمد في تصنيفه للأفعال الكلامية على ثلاثة معايير هي (٧):

١. الغرض الإنجازي.
 ٢. اتّجاه المطابقة الذي يشمل أربعة أنواع هي: من القول إلى العالم، ومن العالم إلى القول، واتّجاه المطابقة المزدوج، واتّجاه المطابقة الفارغ.
 ٣. الحال النفسيّة للمتكلّم، أو شرط الإخلاص أو النزاهة أو الصدق.
- بالاعتماد على هذه المعايير الثلاثة يرى سيرل أنّ هناك خمسة أصناف حسب للأفعال الإنجازية هي (٨):

١. الإخباريات (التقريريات، الإثباتيات):

الغرض منها هو تعهد المتكلّم بصدق القضية المُعبّر عنها، وهذا التعهد يكون ذا درجات متفاوتة؛ أي بحسب ما يمتلك المتكلّم من أدلّة وشواهد تُؤيّد صدق المحتوى القضويّ للقول، ويكون اتّجاه المطابقة لأفعال هذا الصنف من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص أو الحال النفسيّة في الإخباريات هو (الاعتقاد)، وتخضع الإخباريات عموماً لثنائية الصدق والكذب التي تُعدّ اختباراً حقيقياً لأيّ فعل إخباري، يقول سيرل: ((وأبسط اختبار لتحديد هوية الإثبات هو أن نسأل ما إذا كان المنطوق صادقاً أو زائفاً؛ لأنّ للإثباتيات اتّجاه ملامعة من الكلمة إلى العالم فهي يمكن أن تكون صادقة أو زائفة)) (٩).

٢. التوجيهيات (الطلبية):

الغرض منها محاولة التأثير في المستمع ليقوم بعمل معيّن في المستقبل، واتّجاه المطابقة يكون من العالم إلى الكلمات، والمسؤول عن وقوع المطابقة هو المخاطب، وشرط الإخلاص هو (الرغبة)، ويدخل في هذا الصنف الأمر والنهي والاستفهام وغيرها.

٣. الالتزاميات (الوعديّات):

الغرض منها هو إلزام المتكلّم نفسه بفعل شيء في المستقبل، واتّجاه المطابقة يكون من العالم إلى الكلمات، والمسؤول عن وقوع المطابقة هو المتكلّم، وشرط الإخلاص هو (القصد)، ويدخل في هذا الصنف الوعد والوعيد والنذر والرهان والعقد والضمان وغيرها.

٤. التعبيرية (البوحية):

الغرض منها التعبير عن حال المتكلّم النفسيّة المرتبطة بشرط الإخلاص للفعل، ولا يوجد اتّجاه مطابقة لأفعال هذا الصنف؛ أي إنّ اتّجاه المطابقة لها هو الاتجاه الفارغ؛ والسبب أنّ المحتوى القضويّ مُسلم به ابتداءً؛ أي إنّ صدق القضية المُعبّر عنها أمر مفترض أو مقتضى سلفاً، وما تقوم به التعبيرية هو إظهار حال المتكلّم النفسيّة اتّجاه ذلك المحتوى، وشرط الإخلاص للتعبيرية متغيّر، فقد يكون صادقاً إذا تطابق الشعور والقول، أو قد يكون كاذباً إذا لم يتطابقا، ويدخل في هذا الصنف أفعال الاعتذار والشكر والتهنئة والتعزية والترحيب وغيرها.

٥. الإعلانية (التصريحات، الايقاعية):

الغرض منها هو إحداث تغيير في العالم، والسمة البارزة لأفعال هذا الصنف أنّها تُحدث تطابقاً بين المحتوى القضويّ والعالم بشرط الأداء الناجح لها، والأداء يستند إلى مؤسسات غير لغوية، وهذا يعني أنّ اتّجاه المطابقة لأفعال هذا الصنف هو الاتّجاه المزدوج بشرط نجاحها، ومن أمثلتها الترويج وإعلان الحرب والطرده والاستقالة وغيرها، ولم يذكر سيرل شرط الإخلاص لأفعال هذا الصنف؛ لأنها لا تحتاج إليه.

ويلحظ في تصنيف سيرل اشتراك صنفين في اتّجاه مطابقة واحد، فاتّجاه المطابقة للتوجيهيات والالتزاميات من العالم إلى الكلمات، فلماذا لم يجمعهما تحت صنف واحد؟، والجواب هو بسبب اختلافهما في الغرض، فالتوجيهيات تتعلّق بالمخاطب

والالتزاميات تتعلّق بالمتكلم (١٠)، ولذلك يقول سيرل: ((من المفيد أن أميّز بين اتجاه الملاءمة القائم لدى المستمع من العالم إلى الكلمة واتجاه الملاءمة القائم لدى المتكلم من العالم الى الكلمة)) (١١).

ويرى سيرل أنّ أهم نتيجة يمكن استخلاصها من التصنيف هي التوصل إلى وضع عدد محدود من الأمور التي نفعها باللغة، وذلك بفضل الاعتماد على الغرض الإنجازي المرتبط باتجاه المطابقة، فنحن إمّا نُخبر الناس، أو نُؤثّر فيهم لفعل شيء، أو نُلزم أنفسنا بفعل شيء، أو نُعبّر عن مشاعرنا، أو نُحدث تغييرًا في العالم (١٢).

الأفعال التوجيهية في الحوار الأسري القرآني:

يقصد المتكلم في كثير من الأحيان حمل المخاطب على القيام بفعل ما، ويتطلّب ذلك وجود سلطة لدى المتكلم تُمكنه من توجيهه مثل هذه الأفعال، فالسلطة هي العامل الأهم في إعطاء الأفعال التوجيهية قوتها الإنجازية، وهذه القوة تتدرج تبعًا لدرجة السلطة (١٣).

والسلطة الأسرية تتمثل في سلطة الأبوين ولاسيما الأب وسلطة الزوج وسلطة الأخ الأكبر وغيرها، وتساهم مجموعة من العوامل في إيجاد هذه السلطة ودرجة قوتها منها الفطرة والعرف والدين والقانون والثقافة والاقتصاد، يُضاف لذلك العامل المتعلّق بشخصية كلّ فرد، والسلطة الأسرية هي سلطة التقويم والتنظيم وليست سلطة التعسف والاستبداد، وهي سلطة التكليف قبل أن تكون سلطة التشريف (١٤)، وكثيرًا ما يُضاف إلى هذه السلطة في الحوارات الأسرية القرآنية سلطة النبوة التي تتعلّق بالعقيدة وتكون ملزمة للمؤمنين بها، أو سلطة الحكم والنفوذ.

وقد استعملت الأفعال التوجيهية كثيرًا في الحوارات الأسرية، ومن جهات مختلفة وبأساليب متعدّدة منها الأمر والنهي والاستفهام والخبر المضمّن للتوجيه، وأفادت تلك الأفعال أعراسًا مختلفة في نوعها وفي قوتها الإنجازية بحسب اختلاف المقامات التخاطبية. ومن استعمالات الأفعال التوجيهية ما جاء في حوار موسى وهارون (عليهما السلام) في قوله تعالى: {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢]، فالمتكلم - موسى (عليه السلام) - يمتلك سلطة سماوية ملزمة لمن آمن بها، ولما كان الأخ المخاطب مؤمنًا بها فهو ملزم بإنجاز الأفعال الموجهة إليه، والإلزام أعلى درجات القوة في الغرض الإنجازي، ومما يدلّ على قوة الإلزام في هذا الفعل ما ذكره السياق القرآني في موضع آخر بعد أن رجع موسى (عليه السلام) من ميقات ربّه ووجد قومه يعبدون العجل، قال تعالى: {قَالَ يَا هَازِرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا. أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} [طه: ٩٢ - ٩٣]، فموسى (عليه السلام) يُؤكّد أنّ طلبه السابق كان أمرًا ملزمًا للمخاطب لا تهاون معه ولا عصيان.

وقد استعمل المتكلم ثلاثة أفعال توجيهية هي: (اخلفني، وأصلح، ولا تتبع)، والأوّل هو الفعل الرئيس والمقصود الأوّل في التوجيه، ولو اكتفى المتكلم به لأغنى عن الآخرين؛ لأنّ خلافة النبي تقتضي الإصلاح وعدم الإفساد، وقصد المتكلم من الفعل هو إلزام المخاطب بأن يكون خليفة له وقت غيابه، وهو فعل مباشر لا يحتاج إلى تأويل، فهو يدرك من الحمولة الدلالية للمحتوى القضوي، أمّا الفعلان الآخران فهما فعلاّن توجيهيان فرعيان يوضّحان مضامين الخلافة، وأفرادا تأكيدًا لأهميتهما وتذكيرًا للمخاطب بضرورة الأخذ بهما، فالإصلاح أوّلًا؛ لأنّه العمل الأوّل للرجل الرسالي، ويستلزم عدم اتباع سبيل المفسدين، وذكر المفسدين للتحذير منهم، فهم موجودون في كلّ زمان ومكان، ولا شكّ في أنّ موسى (عليه السلام) يعلم بوجود بعضهم بين القوم لذا جاء التحذير على افتراض احتمال وقوع السوء، والإصلاح وعدم اتباع سبيل المفسدين من أهم الأمور التي يقوم بها الأنبياء وخلفاؤهم، قال تعالى على لسان شعيب (عليه السلام): {إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ} [هود: من الآية ٨٨]، وقال تعالى لحبيبه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم): {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ} [الرعد: ٣٧].

فالأفعال التوجيهية جاءت بأساليب مباشرة بصيغة الأمر المباشر مرتين وبصيغة النهي المباشر مرّة واحدة، والغرض منها هو حتّ المخاطب على إنجاز فعل الخلافة مع الالتزام بالإصلاح وعدم اتباع سبيل المفسدين، وشرط الإخلاص متحقّق الذي هو رغبة

موسى (عليه السلام) في أن يكون أخوه هارون خليفة له؛ أي إن المتكلم قاصد ومريد لإنجاز الفعل من قبل المخاطب مع ضرورة وجود يقين أو ترجيح من المتكلم بقدرة المخاطب على الإنجاز، وموسى (عليه السلام) يعلم تمامًا بقدرة أخيه؛ لذلك كلفه بهذه المهمة العظيمة.

ويلحظ السياق القرآني وكتب التفسير - التي هي روافد تداولية ومعينات مقامية تساعد الباحث على الوصول إلى رؤية تداولية تؤدي إلى رسم صورة واضحة للخطاب - يتضح أن المخاطب أنجز الأفعال الموجهة إليه، فقد أصبح خليفة للمتكلم وأصلح ولم يتبع سبيل المفسدين، وأن ما حصل من عبادة العجل كان أمرًا خارج طاقته، فهو ((لم يأل جهدًا في كفهم بالوعظ والإنذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضاداتهم حتى قهره واستضعفه، ولم يبق إلا أن يقتلوه)) (١٥).

ومن الأفعال التوجيهية الأخرى التي لها قوة الإلزام ما جاء في حوار يوسف (عليه السلام) وإخوته في قوله تعالى: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْطُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ} [يوسف: ٩٣]، فقد استعمل المتكلم ثلاثة أفعال توجيهية هي: (اذهبوا، وألقوه، وأتوني)، وجميعها أفعال أمر مباشرة موجهة نحو إخوته الذين يكبرونه سنًا، وقد اعتمد المتكلم على سلطتين الأولى دينية مُمثلة بالنبوة والأخرى دنيوية مُمثلة بمنصب عزيز مصر، ويبدو أن السلطة الدنيوية كان لها الأثر الأكبر في هذا الخطاب وإن كان الفعلان الأول والثاني اعتمدا على السلطة الدينية في ضمان الإنجاز وتحقيق النتيجة المقصودة منهما، وواضح من تتابع الأفعال الأمرية أن المتكلم متيقن من إنجاز المخاطبين لتلك الأفعال، ومما زاد قوة الغرض الإنجازية أن المصلحة من هذا التوجيه تشمل المخاطبين، وهذا يُعد حافزًا في حث المخاطب على الإنجاز، فإذا بالإخوة الذين كان مرادهم زيادة حمل بغير يُدعون إلى السكن في بلاط عزيز مصر، والعزير أخوهم، وقد شاهدوا منه طيب الخلق ومقابلة الإساءة بالإحسان، وجاءت هذه الدعوة مُصاحبة إعلان توبتهم وصفاء سرائرهم فاجتمعت السعدتان سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

لقد تضافرت العوامل المقامية في هذا الحوار على رفع القوة الإنجازية للأفعال التوجيهية وأدت إلى تحقيق الأثر المطلوب في المخاطبين لإنجاز ما أمروا به، فتكون رغبتهم مساوية لرغبة المتكلم نفسه، والمتكلم يُدرك قدرة المخاطبين على الإنجاز، وقد استعمل معهم الإستراتيجية المباشرة لتحقيق مبدأ الإفادة الذي يُعد ثمرة الخطاب (١٦).

ويتضح من الحوارين السابقين أن الأفعال التوجيهية في طائفة من الحوارات الأسرية تأخذ قوتها الإنجازية أو تُعززها بالاعتماد على سلطات غير أسرية قد تكون دينية أو دنيوية أو كليهما، فيوسف (عليه السلام) لا يمتلك أية سلطة أسرية على إخوته؛ لأنه الأخ الأصغر وليس لكلامه قوة إنجازية من هذا الجانب، ولكن السلطة الخارجية هي التي منحت كلامه درجة عالية من الشدة وصلت إلى الإلزام.

وفي حوارات أخرى يعتمد المتكلم على السلطة الأسرية حسب في توجيه المخاطب كما في حوار موسى (عليه السلام) وزوجه في قوله تعالى: {إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى} [طه: ١٠]، وكذلك في حوار عزيز مصر وزوجه في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَفْعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} [يوسف: من الآية ٢١]، فالمتكلمان استعملتا فعلين توجيهيين هما (امكثوا، وأكرمي) بالاستناد على السلطة الأسرية التي هي سلطة الزوج التي تخضع لعوامل مختلفة تجعلها تتباين في درجة قوتها من مجتمع لآخر، ومع أن المتكلمين يمتلكان سلطات خارجية غير أن المقام في غنى عنها، فهو مقام أسري محض، ومع ذلك فإن سلطة المتكلم الخارجية - وإن لم يستعملها - تبقى حاضرة في الخطاب وفي ذهن المخاطب ولاسيما المخاطب الخاضع لها.

ومن الأفعال التوجيهية الملزمة المعتمدة على السلطة الأسرية حسب ما جاء في خطاب أم موسى (عليه السلام) لابنتها في قوله تعالى: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [القصص: ١١]، والقص هو تتبع الشيء (١٧)، فالأم استعملت فعلًا توجيهيًا هو قولها: (قُصِّيهِ)، وقد اعتمدت على السلطة الأسرية في هذا التوجيه؛ لأن البنت أدنى درجة من الأم، وهي ملزمة بإنجاز ما يُطلب منها، فالغرض من هذا الفعل حث البنت على تتبع أثر أخيها موسى (عليه السلام) لمعرفة أحواله وإخبار الأم بذلك، وقد جاء الخطاب موجزًا في لفظة واحدة أفادت توجيه المخاطب؛ لأن المقام يُغني عن كثير من الألفاظ والعبارات، فقصد المتكلم وصل إلى المخاطب مفهومًا واضحًا بهذا التعبير، وإذا تحققت الإفادة بالإيجاز فلا مُسوغ للإطناب، وهذا الإيجاز

منسجم مع مقام الأمّ التخاطبيّ التي وضعت ابنها في صندوق ورمته في البحر حفظاً لحياته، فهي مفزوعة قلقة من رؤية هذا المنظر، فالمقام مقام حزن وقلق وترقب، والبنيت تعلم بكلّ بملابسات المقام كلّها، وعلمها هذا هو الذي أذن أن يكون الفعل موجزاً مباشراً؛ أي إنّ الأمّ بنّت الحوار على افتراض مسبق هو علم البنيت بكلّ شيء يخص الخطاب، وقد بيّن السياق القرآني أنّ البنيت امتثلت لأمر أمّها وجعلت من الفعل مُنجزاً موفّقاً، فقد راقبت عن بُعدٍ حتى خُبرت مكان استقرار الصندوق الذي يضمّ أباها.

وقد أفادت الأفعال التوجيهية أغراضاً مختلفة وبقوى إنجازية متفاوتة، ويُدرِك ذلك من معرفة علاقة المتكلم بالمخاطب والإحاطة بكلّ جوانب المقام التخاطبيّ، ولا بُدّ للباحث في الحوارات القرآنية من الاستعانة بالسياق القرآنيّ وكتب التفسير وغيرها من المصادر؛ لأنّها تُعد روافد تداولية تُعين على فهم ملابسات المقام وخفاياه.

ومن المعاني التي أفادتها الأفعال التوجيهية (النصح)، وقد جاء ذلك في حوار إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً. يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً. يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً} [مريم: ٤٢ - ٤٥]، فقد استعمل إبراهيم (عليه السلام) مجموعة من الأفعال التوجيهية الغرض منها نصح الأب وحثّه على ترك الآلهة التي يعبدها، وقد ابتدأ كلامه بالنداء (ياأبت) مع أنّ المخاطب حاضر الذهن ومُلتفت، والابتداء بالنداء في هذا المقام أفاد وظيفتين تداوليتين: الأولى تتمثل في توكيد استحضار سمع المخاطب وذمّه لتلقّي الأمر المهم، والأخرى تتمثل في استدعاء النسب والتلطّف في التعبير وتوكيد إخلاص المتكلم للمخاطب في النصح(١٨)، وهذا التمهيد يُعدّ وسيلة جيّدة لبدء الخطاب عامّة والخطاب مع المخالفين خصوصاً؛ لأنّه يعمل على استمالة المخاطب نفسياً، ولكن ليس بالضرورة أن تجدي نفعاً دائماً فهي لم تُحقّق هدفها في هذا الخطاب.

وقد استعمل المتكلم أربعة أفعال توجيهية بصيغ مختلفة، فابتدأ بالاستفهام (لم تعبد) الذي أفاد تنبيه المخاطب وحثّه على مراجعة نفسه وإعمال عقله في أهم الأعمال، فأنتى لما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضّر أن يكون معبوداً؟!، فهو محتاج كعابده بل هو محتاج لعابده، فالمراد من هذا الاستفهام الإنكاريّ هو إثبات فساد تلك العبادة ليراجع المخاطب نفسه ويعدل إلى من يستحقّ العبادة، والتوجيه باستعمال الاستفهام ((يلعب دوراً كبيراً في الإقناع وخاصة في العملية الحجاجية نظراً لما يعمل من جلب المتلقّي إلى فعل الاستدلال، بحيث إنّه يُشركه بحكم قوّته وخصائصه التي تخدم مقاصد الخطاب)) (١٩)، وقد عُني المتكلم عناية كبيرة بمناسبة حجّته الإقناعية للسياق المقاميّ وإلى وضع المخاطب الفكريّ والعاطفيّ، فالمخاطب لم يعبد تلك الأصنام عن وعي وتدبّر وحجج عقلية وإنّما هي موروث من السلف يُأخذ على علاته، ولأنّ الحجّة المحسوسة هي أكثر الحجج فعالية وأكثرها قدرة على الإقناع، والمقام التخاطبيّ متعلّق بما هو محسوس - الأصنام - فقد استعمل إبراهيم (عليه السلام) حجّة حسية متعلّقة بالسمع والبصر والقدرة، وهي سهولة الإدراك على المخاطب، فيدرِك حقائقها من طريق استدلالٍ بسيط، وفي ذلك مراعاة لحال المخاطب العابد لما يُدرِك بالحواس، وهذا يدلّ على كفاءة المتكلم في اختيار الحجج المناسبة للسياق (٢٠)، ثمّ استعمل الفعل التوجيهي الثاني الذي هو فعل أمر مباشر (فاتبعني) بعد أن قدّم له بفعل تقريريّ بيّن فيه علّة الاتّباع وسببه، فالمسوّغ لطلب الاتّباع هو أنّ المتكلم يعلم أموراً كثيرة يجهلها المخاطب، والعلم كناية عن النبوّة، فبعد أن بيّن المتكلم للمخاطب فساد عبادته بادر إلى طرح البديل، وهو يعلم تماماً بسبل الوصول إليه وقادر على إيصال المخاطب إلى النتيجة المقصودة التي هي الهداية إلى الصراط السويّ، ورفد التوجيه بالمقدّمات والنتائج يزيد من قوّته الإنجازية ويعمل على تقريبه من ذهن المخاطب وترغيبه فيه، أمّا الفعل التوجيهي الثالث فجاء بأسلوب النهي (لا تعبد)، وذكر الشيطان في هذا المقام التوجيهيّ هو من باب ذكر مصدر الضلال والانحراف، فكّل ضلال من الشيطان، وعبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تُغني شيئاً وجعلها أنداداً وشركاء لخالق السماوات والأرض هو من وساوس الشيطان التي يُريد بها إغواء الناس ليكونوا أولياءه في الدنيا ورفقاءه في جهنّم، فعبر المتكلم عن عبادة الأصنام ((بعبادة الشيطان إفساحاً عن فسادها وضلالها، فإنّ نسبة الضلال والفساد إلى الشيطان مُقرّر في نفوس البشر)) (٢١)، وهذا يُؤكّد كفاية المتكلم التداولية في اختيار الألفاظ المناسبة للمقام التخاطبيّ، فذكر ما هو مستقبّح عند المخاطب وجعله المعبود المباشر لعلاقة السببية بينه وبين تلك الأصنام الغاية منه بيان حقيقة ما يعبد المخاطب ليتحقّق الهدف الخطابّي الذي هو ترك عبادة الأصنام

والتوجه لعبادة الرحمن، وقد بين المتكلم علة ذلك النهي ليقرّر الأمر في ذهن المخاطب، فالشيطان عدو الله ولا يريد الخير للعباد بل يفعل كلّ ما من شأنه أن يُبعدهم عن خالقهم سواء من طريق مباشر واضح أم من طريق غير مباشر خفي لا يدرك إلا بالتدبر ورجاحة العقل، واستعمال صيغة المبالغة في المعصية (عصياً) مع ذكر لفظة (الرحمن) التي لا تُطلق إلا على الله سبحانه وتعني ((الذي وسع كلّ شيء رحمة)) (٢٢) لبيان شدة عصيان الشيطان وعدم مفارقتها لذلك العصيان، وهو يعصي الإله الواحد الواسع الرحمة، وفي ذلك تأكيد غاية الشيطان التي هي الإبعاد عن رحمة الرحمن والإدخال في نعمته، وفي ذلك تحذير من الشيطان ومن اتّباعه الذي يؤدي إلى الخسران والهلاك، ولأجل زيادة التنفير من الشيطان والتحذير منه استعمل المتكلم اسم الشيطان ظاهراً في مقام الإضمار، وهو قوله ((إنّ الشيطان))، فكان من الجائز أن يقول ((إنّه)) (٢٣).

أما الفعل التوجيهي الرابع - الذي هو في الآية الأخيرة من الحوار - فمرتبط ارتباطاً مباشراً بالفعل الثالث، وهو في موضع النتيجة له، وقد كرّر المتكلم لفظ (الرحمن) لتوكيد عظيم رحمة الله سبحانه وتعالى وسعتها كلّ شيء، فلا يُحرم منها إلا الشقيّ الظالم لنفسه، وتصدير هذا الفعل بالتوكيد مقصود من المتكلم لزيادة قوته الإنجازية فيحمل التحذير على محمل الجدّ، وكذلك قصدية المتكلم بيّنة في استعمال الفعل (أخاف) فهو يريد أن يلامس مشاعر المخاطب ويؤكد صدقه وإخلاصه في النصح، واستعمال الخوف ((الدالّ على الظنّ دون القطع تأدّب مع الله تعالى بأن لا يُثبت أمراً فيما هو تصرف الله، وإبقاء للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخلّص من ذلك العذاب بالإقلاع عن عبادة الأوثان)) (٢٤)، وإنهاء النصح بقوله: ((فتكون للشيطان ولياً)) الذي هو كالإعلان عن النتيجة السيئة للأب إذا ما استمرّ على عبادته فيكون مولىً تابعاً للشيطان الذي لم يقدم له إلا الأباطيل والوساوس والشرّ.

ويلحظ أنّ هناك تعارضاً بين المتكلم والمخاطب في السلطات وتناقضاً في المعتقدات دفع المتكلم إلى استعمال استراتيجيات متنوّعة وأساليب لغوية مختلفة تُوظف جميعها لهدف الخطاب التوجيهي، فالأساليب تنقلّت بين النداء والاستفهام والأمر والإخبار والتوكيد، أما الإستراتيجيات فأبرزها الاستدلالية الحجاجية التي تجعل المخاطب يصل إلى مقاصد المتكلم بنفسه بعد سلسلة من الخطوات الاستدلالية، وهي تترك للمخاطب ساحة للتفكير والمراجعة ليتخذ قراراً صادراً عن وعي وقناعة، فالمعتقدات الدينية المتوارثة لا تتغيّر بالإكراه وفرض الآراء وإنما بالمحاجة والإقناع، ومن مصاديقها عدم استعمال الأمر المباشر أو النهي المباشر لترك عبادة الأصنام بل ذكر ما يقدح بتلك المعبودات وجعل عبادتها عبادة الشيطان نفسه، واستعمل المتكلم كذلك الإستراتيجية التضامنية التي تُعدّ عاملاً مساعداً في تحقيق الهدف الخطابي؛ لأنها ((محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه)) (٢٥)، وتمثّل في استعمال النداء (بأب) وتكراره، وكذلك في استعمال الفعل (أخاف)، ويمكن القول إنّ المتكلم اعتمد أيضاً إستراتيجية التدرج حيث بدأ ببيان حقيقة تلك الأصنام وعدم استحقاقها للعبادة، ثمّ بيان البديل عنها ثمّ النهي عن تلك العبادة، والإستراتيجيات جميعها تؤدي إلى إستراتيجية الإقناع التي تتعلّق بهدف الخطاب، وتعني ((إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي)) (٢٦).

ومن الأفعال التوجيهية التي أفادت النصح ما جاء في حوار لقمان وابنه في قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ. يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَنُكِنَ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِذْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } [لقمان: ١٣، و ١٦-١٩]، وهو خطاب توجيهي تخلّته صيغ خبرية أفادت تعليل الأفعال التوجيهية أو توضيحها، وهذا الحوار يشبه الحوار السابق من جهة استعمال الخطاب التوجيهي المشتمل على مجموعة من الأفعال الغاية منه نصح المخاطب وحثّه على اتّباع طريق الحقّ، واختلف الحواران في أنّ النصح في الحوار السابق من الابن إلى الأب، وفي هذا الحوار من الأب إلى الابن؛ أي إنّ حوار لقمان يعتمد على قوة إنجازية مقامية تتمثّل في سلطته على المخاطب، وفي الحوار السابق - حوار إبراهيم (عليه السلام) - كان المخاطب مشركاً معانداً رافضاً لنصح المتكلم، وقد ذكر السياق القرآني خطابه، أما في حوار لقمان فقد ذكرت التفاسير أنّ المخاطب كان كافراً وقد استجاب لدعوة أبيه وأسلم (٢٧)؛ أي إنّ الأفعال

التوجيهية في الحوار مُنجزة وموقفة، ولم يذكر لنا السياق القرآني أي شيء عن ابن لقمان ولا جانباً من محاورته لأبيه، والسياق العام للتوجيه في هذا الحوار وتنوعه ما بين ((الاعتقادات والأعمال وأدب المعاملة وأدب النفس)) (٢٨) لا يُوحى بإشراك الابن أو كفه إلا إذا كانت مرحلة الكفر والهداية سابقة لهذا الحوار، ولو كان الابن مشركاً في هذا المقام لتمحّص الخطاب في الاعتقاد من دون العبادات والمعاملات ولاشتمل على الاستدلال والترغيب والترهيب كما لحظنا في خطاب إبراهيم (عليه السلام)، فمواظ لقمان جاءت على سبيل التنبيه والتحذير من الانزلاق إلى الشرك الظاهر أو الخفي، وكذلك حثّ المخاطب على الالتزام بالعبادات والمعاملات، وتأكيد صلاح العقيدة ليس عزيزاً في القرآن الكريم فقد قال تعالى لحبيبه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ {الزمر: ٦٥}، وقال تعالى لخليله إبراهيم (عليه السلام): ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ {الحج: ٢٦}، وكذلك نجد تأكيد هذا الأمر من الأنبياء لأبنائهم كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ {البقرة: ١٣٣}، والله هو العالم بحقيقة الأمر.

وقد استعمل المتكلم في هذا الحوار عشرة أفعال توجيهية، منها ثلاثة بأسلوب النهي، وستة بأسلوب الأمر، وفعل واحد جاء بالصيغة الخبرية، وقد اختلف المحتوى القضوي مع كل فعل تبعاً لقصد المتكلم في إرسال توجيهات مختلفة في مقام تخاطبي واحد، وابتدأ المتكلم توجيهه باستعمال النداء (يا بني) وكرره في ثلاثة مواضع، واستعمل هذه الصيغة في النداء - زيادة على تأكيد على طلب حضور الذهن - لإظهار التحبب والشفقة والإخلاص في النص (٢٩)، وهذا يقع ضمن الإستراتيجية التضامنية، وقد اعتمد المتكلم إستراتيجية التدرج في التوجيه بحسب المحتوى القضوي لكل فعل، فبدأ بالعقيدة التي تُعدّ أساساً لجميع العبادات والمعاملات، واستعمل معها أسلوب النهي المباشر عن الإشراك، ثم استعمل فعلاً توجيهياً بصيغة خبرية بين فيه علم الله سبحانه بكل شيء وقدرته على كل شيء، وقد وضّح ذلك بمثال يُقرّب الأمر إلى ذهن المخاطب، فحبة الخردل والصخرة والسموات والأرض جميعها معلومة ومحسومة للمخاطب، وهذا التعبير أبلغ في التأثير من القول المباشر بعلم الله سبحانه وقدرته، والغاية من هذا التوجيه ترغيب المخاطب في صفات الأعمال الصالحة وترهيبه من صفات الذنوب والمعاصي والأعمال السيئة، ويُعد هذا التوجيه مدخلاً مناسباً لما بعده من الأفعال، ثم انتقل المتكلم إلى توجيه المخاطب بضرورة الالتزام بالأعمال العبادية ولاسيما الصلاة إذ جعلها في المقدمة، وجاءت التوجيهات الأخيرة في التأدب وحسن الخلق.

وقد استعمل المتكلم فعلاً إخبارياً بعد كل توجيه أو بعد مجموعة من التوجيهات، والأفعال الإخبارية جميعها تابعة للأفعال التوجيهية ومُعززة لقوتها الإنجازية، وقد جاءت جميعها مؤكدة ب(إن)، أو بها وباللام، وهذا يزيد من قوتها التقريرية المعززة للتوجيهات، فعملت هذه الأفعال على بيان أسباب الأفعال التوجيهية للمبالغة في حثّ المخاطب على الأخذ بها، فالنهي عن الإشراك لأته ظلم عظيم، والأمر بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصائب لأنه من عزم الأمور؛ أي ((مما عزمه الله من الأمور، أي قطعة قطع إيجاب وإلزام)) (٣٠).

ومن الأغراض التي أفادتها الأفعال التوجيهية في الحوارات الأسرية (الرجاء)، وقد استعمل في مجموعة من الحوارات التي يكون فيها المتكلم تحت سلطة المخاطب، ويدخل في هذا المعنى معظم الأفعال الموجهة من أبناء يعقوب (عليه السلام) إلى أبيهم، ومن تلك الأفعال ما جاء في قوله تعالى: ﴿أرسله معنًا عدداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون﴾ {يوسف: ١٢}، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ {يوسف: ٩٧}، فالعلان (أرسله، واستغفر) فعلاً توجيهياً صادران ممن هو أدنى سلطة، وهذا يعني انتفاء الإلزام والخروج إلى غرض آخر هو الرجاء الذي غالباً ما يرتبط به التوجيه نحو مصالح المتكلم على عكس النصح الذي يرتبط غالباً بمصالح المخاطب، وفي هذين الفعلين المراد تحقيق مصالح الإخوة جميعهم بغض النظر عن هوية المتكلم، وقد استعان المتكلم بأفعال إخبارية مؤكدة تعزز القوة الإنجازية للأفعال التوجيهية وتزيد في حثّ المخاطب على الإنجاز، فطلب إرسال يوسف (عليه السلام) معهم أتبع بأفعال إخبارية تُبين علته وترفع شدته، وهي: (يرتع، ويلعب، وإنا له لحافظون)،

فالأكل واللعب والتكفل بالحماية جميعها وسائل مساعدة تقع في ضمن الإستراتيجية الإقناعية المتبعة، والمسوخ لاستعمالها هنا ((استباق عدم تسليم المرسل إليه نتائج المرسل أو دعواه)) (٣١)، أما طلب الاستغفار فأتبع بفعل إخباري مؤكد هو ((إنا كنا خاطئين))، والاستغفار لا يتحقق إلا بتصديق الأفعال للأقوال؛ لأنه إن كان باللسان من دون الأفعال فهو فعل الكذابين (٣٢)، وقد أفاد الفعل الإخباري تأكيد المحتوى القضوي للفعل التوجيهي، ورفع الجانب التأثري للطلب عن طريق التصريح بوقوع الخطأ والاعتراف به.

ويختلف الفعلان في أحد الجوانب المتعلقة بشرط الصدق، فالشرط متحقق في الفعل الثاني (استغفر)؛ لأن الإخوة راغبون حقاً في تحقق فعل الاستغفار وقصدتهم موافق لاعترافيهم بالخطأ، ويذكر ذلك من السياق القرآني وكتب التفسير التي تعد روافد تداولية لا غنى عنها، أما الفعل الأول (أرسل) فشرط الصدق متحقق في نفوس الإخوة؛ لأنهم راغبون في اصطحاب يوسف (عليه السلام) وينتظرون موافقة الأب لفعل ذلك، ولكن سبب إنجاز الفعل المصرح به من الإخوة مخالف تماماً لقصدتهم، فقصدتهم هو إلحاق الضرر بيوسف (عليه السلام) وإيذاؤه لا إسعاده وحفظه كما صرحوا، فهذا الفعل وإن تم إنجازها إلا أنه سيء في طريقته؛ لأنه خالف المضمون القضوي للأفعال الخبرية التي تعد جزءاً منه وسبباً في رفع قوته الإنجازية وتحققه.

ومن الأفعال الأخرى التي أفادت الرجاء ما جاء في خطاب هارون لأخيه موسى (عليه السلام) في قوله تعالى: (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِيفًا قَالَ بِسْمِ اللَّهِ خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ اسْتَغْفِرْ لِي رَبِّي إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (٣٣)، وفي موضع آخر: (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) (طه: ٩٤)، فالمتكلم هارون استعمل ثلاثة أفعال توجيهية بأسلوب لغوي واحد وهو النهي، ولما كان المخاطب صاحب السلطة؛ لذا المراد من التوجيه هو رجاء المخاطب واستعطافه، وقد بدأ المتكلم باستعمال النداء بالانتساب إلى الأم (يا ابن أم) ((وذلك أدعى ألى العطف والرفقة وأعظم للحق الواجب)) (٣٣)، وقد ذكرنا سابقاً أن الابتداء بالنداء المحبب للمخاطب يعد ضمن الإستراتيجية التضامنية لاستمالة المخاطب عاطفياً وتقريبه، وقد ذكرت هذه الأفعال في موضعين مختلفين من القرآن، وهي تعود لمقام تخاطبي واحد ويتم بعضها بعضاً، ففي الموضوع الأول أفاد الفعلان حث المخاطب على ترك العقاب المعنوي المتمثل بشماته الأعداء والسيرورة مع الظالمين، وقد قصد المتكلم الترتيب بين الفعلين، فشماته الأعداء أهون من السيرورة مع الظالمين، أما الفعل في الموضوع الآخر فقد أفاد حث المخاطب على ترك العقاب البدني المتمثل بأخذ الرأس واللحية، وقد استعان المتكلم بأفعال إخبارية مؤكدة تُبرئ ساحته وتُعزز موقفه، وتتوع الأساليب اللغوية يعود لمقصدية المتكلم في اتخاذ المسلك المناسب لخطابه ((من أجل تنفيذ إرادته والتعبير عن مقاصده التي تُؤدّي لتحقيق أهدافه)) (٣٤).

ومن المعاني الأخرى التي أفادتها الأفعال التوجيهية (التحريض)، وهذا المعنى يتحقق إذا حث المخاطب بقوة على فعل شيء، فالتحريض على أمر هو ((الحث والإحماء عليه)) (٣٥)، وفي هذا المعنى خطاب أحد إخوة يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) {يوسف: ٩}، فالمتكلم استعمل فعلين توجيهيين هما: (اقتلوه، واطرحوه) وجعلهما خيارين للمخاطبين، وهذا التوجيه لا يشتمل على سلطة الإلزام فلا سلطة للمتكلم على إخوته، وإنما هو من باب التحريض والحث على الإنجاز، وقد اعتمد المتكلم على قوة إنجازية مقامية تتمثل باتفاق الإخوة على حسدهم ويغضهم ليوسف (عليه السلام) وإجماعهم على ضرورة إبعاده عن أبيه، ولهذا أعقب التوجيه فعلاً خبرياً هما: ((يخل لكم وجه أبيكم))، و((وتكونوا من بعده قوماً صالحين)) لتوكيد ذلك المعنى في أذهانهم ولتكون هذه الأفعال مسوغات لذلك المحذور، وهذا يُؤدّي إلى زيادة التأثير في المخاطبين وإغرائهم، فالأب سينشغل بهم وهدمهم ويلتفت إليهم دون مزاحمة يوسف (عليه السلام) إياهم، وصلاحي الحال قادم بعد هذا الفعل، ولعلّه يقصد بالصلاح التوبة بعد إنجاز الفعل، أو أن خلو وجه الأب لهم هو صلاح لحالهم ولدنياهم (٣٦)، فالصلاح في المستقبل يقابل ويساوي الإفساد في الحاضر بقتل أخيه، وهذا من مكر المتكلم ودهائه للسيطرة على عواطف المخاطبين قبل عقولهم.

واستعمال التخيير في التوجيه من الاستراتيجيات المؤثرة في المخاطب والنافعة في تحقيق قصد المتكلم، وذلك عندما يكون كلا الخيارين يُحققان مراد المتكلم ولاسيما هو لايملك سلطة مباشرة على المخاطبين، فالتخيير يجعل الفعل التوجيهي العام متجه للإنجاز إلا أنه بانتظار طريقة إنجازه، فإبعاد يوسف (عليه السلام) مُتحقق بالقتل أو بالطرح، وهذا التخيير يتضمّن قبول المتكلم بطرق أخرى تُحقّق مآربه، ولهذا لم يتردّد في قبول اقتراح أحد الإخوة بإلقاء يوسف (عليه السلام) في غيابة الجب؛ لأنه يُحقّق الهدف المراد.

وفي معنى التحريض أيضاً ما جاء في حوار امرأة العزيز وزوجها بعد مرادتها ليوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: {وَأَسْتَبْقَا الْبَابَ وَفَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} {يوسف: ٢٥}، ونلاحظ بعض التشابه بين هذا الفعل والفعل السابق، فالمتكلم في الحوارين ضامن أو مُرَجِّح لتأييد المخاطب، وكلاهما استعمل التخيير في التوجيه، والفارق أنّ المتكلم في الحوار السابق كان في موقف أقوى، والفعل في ذلك الحوار كان شيئاً مع علته، ويعلم المتخاطبون جميعهم بسوئه، أمّا الفعل في هذا الحوار فالمتكلم -امرأة العزيز- في موقف ضعف من جانبين: الأول نفسي لخطئها، والآخر مقامي لخضوعها لسلطة المخاطب، والفعل ليس شيئاً في ذاته بل لعدم مطابقة علته؛ أي لو أراد شخص سوءاً بها لاستحقّ السجن أو العذاب، وسوء الفعل لم يعلم به المخاطب وعندما علم به تجاهل التوجيه وكأنّه لم يُلْفِظ، ولضعف موقف امرأة العزيز لم تستعمل الأمر المباشر بل استعملت الاستفهام، وكذلك لم تُشر إلى يوسف (عليه السلام) مباشرة ولم تصرّح باسمه وإنما ذكرت قاعدة عامّة يدخل فيها كلّ من أراد السوء بها، وذكرها لخيارين في الجزاء كي تجعل عقاب المسيء من المسلمات؛ أي إنّها افترضت أنّ زوجها لن يسمح بمرور الفعل من دون عقاب فذكرت السجن أو العذاب ليختار منهما، ولزيادة قوّة الفعل الإنجازيّة عمدت المرأة إلى المبادرة في القول وتوجيه الاتهام، وهي تدرك أنّ قرب المخاطب منها وتأييده إيّاها يجعل من هذه المبادرة أمراً حاسماً وفعلاً مُنجزاً، وكان لها ذلك لولا العناية الإلهية بشخص يوسف (عليه السلام)، ومن الصياغة اللغويّة يتبيّن أنّ قصد المتكلم لا يتحقّق على نحو جيّد إلا إذا امتلك كفاءة لغويّة مُعزّزة بكفاءة تداوليّة، فاختيار الألفاظ وصياغتها على وفق ما يقتضيه المقام مهمّ جداً في تحقّق الهدف الخطابي، فامرأة العزيز استعملت الفعل (أراد) من دون غيره لتؤكد على أنّ الأمر لم يتجاوز الإرادة، وأنها منعت وقوع الأمر، وهذا الإثبات يبيّن شدّة إخلاصها لزوجها، واستعملت لفظة (أهل) ونسبتها للزوج بكاف الخطاب لتعظيم وللمبالغة في سترها ولتوكيد أنّها تخصّه وهو معنيّ بها، فهي اعتمدت على مجموعة من العوامل اللغويّة والمقاميّة لتعديل القوّة الإنجازيّة للملفوظ وللعمل على زيادة درجة شدّة الغرض في القول، فهي جعلت المصلحة من إنجاز الفعل متعلّقة بها وبالمخاطب لضمان تحقّق الفعل التأثيري.

وقد يكون المراد من الأفعال التوجيهيّة (الإنكار) أو (التعجب)، ولا مانع من إرادتهما معاً في بعض الأفعال، وغالباً ما يُستعمل أسلوب الاستفهام مع هذين المعنيين، فمن شواهد الإنكار ما جاء في خطاب الأب في قوله تعالى: {قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آهْتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} {مريم: ٤٦}، وكذلك في خطاب الابن الكافر لوالديه في قوله تعالى: {وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفْ لَكُمْ أَنْتَ عِدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلْتُ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ قَيُّوْلُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} {الأحقاف: ١٧}، فخطاب الأب في الحوار الأول وخطاب الابن في الحوار الثاني يتشابهان في صدورهما من شخصين كافرين، وكذلك في إظهار الغلظة وفضاعة القول وسوء الخلق ومقابلة الإحسان بالإساءة، وهذا يناقض أفعال النصيح التي سبق ذكرها فهي تبدأ بعبارات محبّبة إلى نفس المخاطب وتتضمّن كلّ ما من شأنه تقريب المخاطب واستمالتة، والفعالان - موضع البحث - التوجيهيان (أراغب، وأتعدانني) لم يُردّ بهما حقيقة الطلب بل إنكار وقوع المحتوى القضوي للفعل من المخاطب، فالأب يعلم من المقام أنّ إبراهيم (عليه السلام) راغب عن آهته بل ويحثّه على تركها والتوجّه لعبادة الله سبحانه؛ لذلك استعمل الاستفهام لإظهار إنكاره لتلك الرغبة وتعجّبه من وقوع مثل هذا الأمر، فهو يرى أنّ آهته لا تُترك ولا يُعدل عنها، وقد اعتمد في توجيهه على سلطتين: الأولى هي سلطة الأبوة والأخرى هي سلطة الكثرة والقوّة، فالمشركون بلحاظ السياق القرآني هم الكثرة، والكثرة المشتملة على القوّة تُعدّ سلطة تُمكن أفرادها من كسب قوّة إنجازيّة عالية في التوجيه، وقد عزّز المتكلم إنكاره بالتهديد والوعيد في فعلين توجيهيين آخرين، الأول جاء بصيغة الشرط ((لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَكَ))، والآخر بصيغة الأمر ((وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا))، وهو بذلك يقابل

نصح الابن بالغلظة والتهديد، ولم يُقابل (يا أبت) ب(يا بُني) بل باستعمال الاسم الصريح (يا إبراهيم)، وهذا عمل على تفويض الإستراتيجية التضامنية التي انتهجها إبراهيم (عليه السلام).

أما الفعل التوجيهي الإنكاري في الحوار الثاني فبدأه الابن بعبارة (أف لكما) التي تدلّ على الضجر والانزعاج، وهي موجّهة للوالدين خاصّة بقرينة اللام في (لكما) (٣٧)، وهذا يدلّ على سوء خلقه فضلاً عن سوء عقيدته، فهو يُقابل إحسان الأبوين ونصحهما بهذا المنطق الغليظ السيء، وواضح أنّ قصد المتكلم من اللفظة الأولى زيادة الفجوة العاطفية بينه وبين والديه لثلاثم الفجوة الفكرية العقائدية بينهما، وقد عزز المتكلم الفعل التوجيهي بحجة يراها كافية لإنكار البعث، هي قوله: ((وَقَدْ خَلْتُ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي))؛ أي إنّ الأمم السابقة على كثرتها لم يُبعث منهم أحد(٣٨)، ثمّ أنهى الحوار بوصف البعث وكلّ ما يتعلّق به بالأساطير التي وضعها السابقون ولا حقيقة لذلك، وقد خالف المتكلم مبدأً مهمّاً من مبادئ الخطاب وهو مبدأ التأدّب الذي يُؤكد أنّ المسافة ((الاجتماعية بين المتحاورين تحكمها القيم والمواضع الثقافية السائدة مثل السنّ والمكانة)) (٣٩)، فهو فعل سيء في أدائه لعدم مراعاته سلطة المخاطب.

ومن الأفعال التي أفادت الإنكار مع التعجّب ما جاء في خطاب يعقوب (عليه السلام) لأبنائه في قوله تعالى: {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ حَافِظٌ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٦٤]، فالأب استعمل فعلاً توجيهياً بأسلوب استفهامي الغاية منه الإنكار والتعجّب من وقوع مثل هذا الطلب من أبنائه، وعلّة التعجّب تكمن في قوله: ((إلا كما أمنتم على أخيه من قبل))، فحادثة يوسف (عليه السلام) لم تزل غصّة طرية في ذهنه، واستعمال لفظه (أخيه) يدلّ على قصد الأب بجعل حال الأخوين في جهة واحدة متلازمة، وما فعله الإخوة بيوسف (عليه السلام) يمكن أن يفعلوه مع أخيه، ومما يُثير الشكوك حولهم أنّهم يستعملون العبارات نفسها في التعهد ولاسيما قولهم: ((وإنّا له لحافظون))، والربط بين هذا الطلب والطلب المتعلّق بيوسف (عليه السلام) يستلزم مجموعة من الأمور أهمّها أنّ الأب لم ينسّ يوسف (عليه السلام) ولن يفعل، وهذا يؤكد للإخوة أنّهم لم يحققوا غايتهم من فعلتهم بل ازدادوا بعداً عن الأب، ويستلزم كذلك تلميحا من الأب بعلمه بمؤامرتهم السابقة ولومهم وتأنبيهم على ذلك، وأيضاً تحذيره إياهم من الإقدام على أيّ فعل يلحق الضرر بشقيق يوسف (عليه السلام)، فالتذكير بالحادثة السابقة أعطى الفعل قوته الإنجازية، فالمخاطبون في موقف ضعف والمتكلم - فضلاً عن سلطته الأبوية - في موقف قوّة لذلك ألزمهم بأن يؤتوه موثّقاً من الله سبحانه وتعالى.

أما الأفعال التي أفادت معنى التعجّب فتختلف عن الأفعال التي أفادت الإنكار بأنها تحتاج إلى جواب من المخاطب؛ أي إنّها طلب حقيقي لمعنى التعجّب، وقد يكون المتكلم خالي الذهن تماماً كما في خطاب زكريّا لمريم (عليهما السلام) في قوله تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: ٣٧]، وأيضاً في خطاب زوج النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله تعالى: {وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} [التحریم: ٣]، فالعلان التوجيهيان المستعملان في الحوارين السابقين ((أنّى لك هذا))، و((من أنبأك هذا)) يُراد بهما حقيقة الطلب والاستخبار عن المحتوى القضويّ مع زيادة القوّة الإنجازية للمنطوق مقامياً بإظهار حال التعجّب من ذلك المحتوى؛ لأنّ التعجّب من وسائل زيادة القوّة الإنجازية لإضافته جانباً مقامياً يعود إلى مقصدية المتكلم من ذلك التوجيه (٤٠)، ومن المشتركات بين الفعلين حضور حال الاستغراب والتعجّب المضمّنة في الأسلوب الاستفهامي، وهذا يُدرك من السياق المقاميّ للحوارين الذي بيّنه السياق القرآنيّ وكتب التفسير، وكذلك استعمال اسم الإشارة في الفعلين؛ لأنّ المقام يُغني عن التصريح بالشارع إليه، كما أنّ علاقة المخاطبين الخاصّة بالله سبحانه وتعالى جعلت الإجابة صريحة ومباشرة، فالله جل شأنه هو الذي أنزل الرزق على مريم (عليها السلام)، وهو الذي أخبر حبيبه المصطفى (صلى الله عليه وآله) بفعل الإفشاء، وتباين الفعلان في العلاقة بين المخاطبين، ففي الفعل الأول المتكلم هو صاحب السلطة على المخاطب؛ لأنّه المُتَكَلِّف بالرعاية وله منزلة الأب، وفي الفعل الآخر المخاطب هو صاحب السلطة على المتكلم من جانبين النبوة والبعولة؛ لذلك

الفعل الأول يمتلك قوة إنجازية أكبر من الفعل الثاني، لأن قوة الأفعال التوجيهية تتدرج (طبقاً لدرجة السلطة ووجودها من عدمها) (٤١).

وقد يكون الفعل التوجيهي التعجبي صادراً من متكلم يعلم إلى حد ما بالأمر المستفهم عنه ولكنه يحتاج إلى تأكيد ذلك كما في خطاب إخوة يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: {قَالُوا أَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٩٠]، فالإخوة استشعروا من السياق المقامي أن المخاطب هو يوسف (عليه السلام)، وفي الوقت نفسه هم متعجبون من وقوع مثل هذا الأمر، فالأخ الذي أرادوا له الإبعاد والذل والهوان يجلس على كرسي الملك وهم صاغرون أمامه محتاجون إليه، واستعمالهم التوكيدات اللفظية (إن، واللام) يدل على أن معرفتهم بالمستفهم عنه وصلت مرحلة متقدمة قاربت العلم واليقين به؛ لذلك جاء جواب يوسف (عليه السلام) خالياً من المؤكدات لعدم حاجته إليها.

وقد تأتي معاني الإنكار والتعجب من تذكير المخاطب بأمر سابق، ولا تختلف عن الأفعال السابقة في استعمال الاستفهام وسيلة للتعبير عن قصد المتكلم، وهذا يعني ((أن القالب التركيبي الاستفهامي قد جعل وسيلة لإضافة قوة إلى قوة المنطوق الإنجازية في سياقات لا يكون السؤال عن محتوى القضية أثناءها هو وظيفة المنطوق الأولى)) (٤٢)، ومعظم شواهد التذكير من قصة يوسف (عليه السلام) ولعل طول القصة وكثرة حواراتها الواردة في القرآن الكريم هو الذي جعلها تتضمن مثل هذه الأفعال، والأفعال هي خطاب أحد إخوة يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: {قَلَمَّا اسْتِئْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكَمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [يوسف: ٨٠]، وخطاب يوسف (عليه السلام) لإخوته في قوله تعالى: {قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ} [يوسف: ٨٩]، وخطاب يعقوب (عليه السلام) لأبنائه في قوله تعالى: {قَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف: ٩٦]، ومن خارج قصة يوسف (عليه السلام) ما جاء في حوار الإخوة أصحاب الجنة في قوله تعالى: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ} [القلم: ٢٨]، فالأفعال التوجيهية (ألم تعلموا)، و(هل علمتم)، و(ألم أقل لكم) أفادت جميعها الإنكار والتعجب - وقد يضاف إليهما التوبيخ واللوم في بعضها - وذلك بتذكير المخاطبين بأمر سابق، واعتمدت هذه الأفعال في قوتها الإنجازية على ضعف موقف المخاطبين، وهذا عامل مقامي يعزز موقف المتكلم ويعطي تأثيراً أكبر للتوجيه، وكذلك اعتمدت على سلطة المتكلم في خطاب يعقوب (عليه السلام) لأبنائه وخطاب يوسف (عليه السلام) لإخوته، وهذه الأفعال تشير إلى أحداث سابقة يعلمها المخاطبون، وعلمهم بها هو الذي أخرج الاستفهام عن وظيفته إلى إفادة معانٍ يقصدها المتكلم وسهولة التأويل والاستدلال على المخاطبين، أما متلقي هذه الحوارات والباحث فيها فيحتاج إلى الإحاطة بالمقامات التخاطبية ومرجعياتها، ولاتكون تلك الإحاطة إلا بالاستعانة بمعينات تداولية أهمها السياق القرآني نفسه وكتب التفسير والدراسات القرآنية الأخرى.

ففي الموضوع الأول يُذكر المتكلم إخوته بميثاق أبيه عليهم، وهو في قوله تعالى: {قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [يوسف: ٦٦]، فالمتكلم استعمل فعلاً توجيهياً استفهامياً أفاد تعجبه وإنكاره لقصد الإخوة الرجوع إلى أبيهم من غير أخيهم بنيامين مع أنهم أعطوا موثقاً لأبيهم بحفظه وارجاعه، ولكي يجعل قوله أكثر تأثيراً ذكرهم بفعاليتهم بيوسف (عليه السلام) مع إعطائهم العهد بحفظه، فالأخ يدرك جيداً أن الأب لن يصدقهم ولو صدقوا؛ لأنهم حطّموا عامل الثقة بينهم سابقاً؛ لذلك رأى أن يكون بقاءه في مصر دليلاً على صدقهم في ادّعاهم، وذكر حادثة يوسف (عليه السلام) مع الفعل المتعلق بشقيقه القصد منه ربط الأمرين معاً لتلازمهما وتعلقهما، وهو لوم وتأنيب لإخوته ولنفسه أيضاً على ذلك الفعل الذي ما أنفك عن ملاحقتهم في كل مكان وزمان.

وفي الموضوع الثاني جاء الفعل الاستفهامي ليُذكر الإخوة بفعل سابق ولينكر عليهم ذلك الفعل ويتعجب من وقوعه منهم، ولاشك في أن المخاطبين فهموا منه اللوم والتأنيب لهم؛ لأنهم يُدركون قبح فعلهم العائد إلى فساد نواياهم، وهذا الضعف لدى المخاطبين يزيد من قوة الفعل الإنجازية، وهذا يضمن تحقق القوة التأثيرية الناتجة عن القول، ويستطيع متلقي الحوار أن يدرك حقيقة هذا الفعل التوجيهي بالرجوع إلى بداية القصة حيث المؤامرة وتنفيذها، وقد ذكر السياق القرآني ذلك.

وفي الموضوع الثالث يتعجب الأب ويُنكر على أبنائه أنهم لم يلتفتوا إلى قوله السابق، وهو في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]، وتكمن قوة الفعل في أنه تؤكد وتقرير للفعل السابق، والتوجيه مرتكز على سلطة الأب، أما المحتوى القضيوي للفعل هو العلم من الله فيعتمد على مكانة النبوة والاختصاص الإلهي، فكان لزاماً على الأبناء أن يُراعوا ما يُقال لهم لاعتبارين النبوة والأبوة.

وفي الموضوع الأخير أفاد الفعل التوجيهي الإنكار والتعجب من حال المخاطبين لعدم استجابتهم لطلب المتكلم السابق، فعدم إنجاز التوجيه السابق هو الذي أدى بهم إلى ما هم عليه لحظة التخاطب، فالمتكلم وصفه القرآن بأوسطهم والمراد ((أفضلهم وأقربهم إلى الخير)) (٤٣)، وأفضليته هي التي حوّلتها أن يكون موجهاً إليهم، ولم يذكر السياق القرآني الموضوع السابق الذي تمّ التذكير به كما في الأفعال السابقة؛ لذلك نقول إن هذا الفعل يستلزم أن المتكلم نصحهم وحذّره من ترك تسييح الله سبحانه وتعالى، والمراد بالتسييح التنزيه والذكر والتوبة إليه سبحانه وتعالى وعدم عصيانه في إعطاء حقّ الفقراء والمساكين من زكاة الزرع (٤٤)، وهذا الفعل يتضمّن تأنيب المخاطبين ولومهم لعدم التزامهم بأوامر الله سبحانه وتعالى ورفض سماع من يُذكرهم بذلك، وقوة هذا الفعل ناتجة عن صلاح المتكلم وصواب رأيه مقابل فساد رأي المخاطبين الذي أدى إلى حلول النقمة، وهذا يؤكد أن القوة الإنجازية للأفعال التوجيهية لا تعتمد بالضرورة على سلطة المتكلم بل إن كثيراً من العوامل المقامية كفيلة برفع القوة وتحقيق الغرض، والدليل على القوة التأثيرية للفعل المستعمل هو إقرارهم بخطئهم وتوبتهم عن ذلك والمبادرة إلى تسييح الله سبحانه وتعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القم: ٢٩].

وفي الختام يمكن ذكر أبرز ما انتهى إليه البحث:

- إن نصوص الحوارات الأسرية تقع في صميم الدرس التداولي؛ لأنها تعكس واقع استعمال اللغة الذي يعود لمقامات خطابية؛ لذلك هي ميدان رحب لمباحث التداولية جميعها ولا سيما الأفعال التوجيهية.
- إن السلطة هي العامل الأهم في إعطاء الأفعال التوجيهية قوتها الإنجازية، وتتجسد السلطة الأسرية في المقام الأول في سلطة الأب على أبنائه، والزوج على زوجته، وتأتي بعدهما السلطات الأخرى، والسلطة الأسرية لا تُؤخذ على نحو الإطلاق والإلزام، فقد تُؤثر عليها مجموعة من العوامل والقوانين الوضعية، والعامل المادي الاقتصادي، وامتلاك النفوذ، فهذه العوامل وغيرها تقلب موازين التسلّط في الأسرة، وفي الحوارات الأسرية تُضاف للسلطة الأسرية سلطات أخرى كالسلطة الدينية المتمثلة بالنبوة وسلطة الحكم والنفوذ.
- يُعدّ السياق القرآني وكتب التفسير عناصر مقامية وروافد تداولية لا غنى عنها؛ لأنها تبيّن كثيراً من الجوانب المتعلقة بأطراف الحوار ونصّه وسياقه.
- أفادت الأفعال التوجيهية في الحوارات الأسرية دلالات مختلفة، أهمّها: الإلزام، والنصح، والرجاء، والتحريض، والتخبير، والإنكار، والتعجب.

هوامش البحث

- ١- المشيرات المقامية في اللغة العربية: ٢٣.
- ٢- وتُسمّى أيضاً: الأفعال اللغوية، والأعمال اللغوية، والأعمال الكلامية، ونظرية الحدث الكلامي أو الحدث اللغوي، والنظرية الإنجازية، ونظرية أفعال اللسان، ونظرية أفعال التواصل، يُنظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: ٨٩ (الهامش)، وأفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٦١، ومعالم التداولية في كتاب النظرات للمنفلوطي: ٥١ (الهامش).
- ٣- يُنظر: البرجماتية اللغوية: ٣٠٥، وأفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٢.
- ٤- يُنظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ٤٦، وفي البرجماتية- الأفعال الإنجازية في العربية المعاصر دراسة دلالية ومعجم سياقي: ١٠.
- ٥- يُنظر: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٢.
- ٦- يُنظر: التداوليات علم استعمال اللغة: ٣١٢، والاستلزام الحوارية: ٨٨.

- ٧- يُنظر: نظرية الفعل الكلامي: ١٢٤- ١٢٥، ومدخل إلى نظرية الفعل الكلامي: ٨٦- ٨٧.
- ٨- يُنظر: العقل واللغة والمجتمع: ٢١٧- ٢٢٠، و التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ٢٣٢- ٢٣٦، ونظرية الأفعال الكلامية ٣٠- ٣٣.
- ٩- العقل واللغة والمجتمع: ٢١٧- ٢١٨.
- ١٠- يُنظر: نظرية الأفعال الكلامية: ٢٩- ٣٠.
- ١١- العقل واللغة والمجتمع: ٢٢١- ٢٢٢.
- ١٢- يُنظر: العقل واللغة والمجتمع: ٢٢١، ونظرية الأفعال الكلامية: ٢٦- ٢٧، وإستراتيجيات الخطاب: ١٥٨.
- ١٣- يُنظر: إستراتيجيات الخطاب: ٣٢٤- ٣٢٥.
- ١٤- يُنظر: عوامل تشكيل بناء السلطة في الأسرة المعاصرة/ سميحة عليوات، وزينة بن حسان/ الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجود الحياة في الأسرة- جامعة قاصدي مرباح- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- ٢٠١٣: ٢- ٣.
- ١٥- الكشاف: ٣٨٩.
- ١٦- يُنظر: التداولية عند العلماء العرب: ١٨٦، وعلم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية/ عمر محمد أبو نؤاس/ المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها - المجلد السابع - العدد الثاني - ٢٠١١: ١١٩.
- ١٧- يُنظر: مقاييس اللغة: ٧١٨، مادة (قص).
- ١٨- يُنظر: الكشاف: ٦٣٧، والبحر المحيط: ٦/ ١٨٢.
- ١٩- الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار - نماذج من القرآن والحديث/ أمانة بلعلى/ مجلة التراث العربي - العدد ٨٩-٢٠٠٣: ٢١٤.
- ٢٠- يُنظر: الحجاج في خطابات النبي إبراهيم (عليه السلام) - ماجستير: ٥٤.
- ٢١- التحرير والتنوير: ١١٦/١٦.
- ٢٢- مفردات الفاظ القرآن: ٣٤٧، مادة (رحم).
- ٢٣- التحرير والتنوير: ١١٧/١٦.
- ٢٤- المصدر نفسه: ١١٨/١٦.
- ٢٥- إستراتيجيات الخطاب: ٢٥٧، ويُنظر: المصدر نفسه: ٢٦٨.
- ٢٦- المصدر نفسه: ٤٤٤.
- ٢٧- يُنظر: الكشاف: ٨٣٦، والبحر المحيط: ٧/ ١٨٢، وتفسير لأبي السعود: ٤/ ٣٧٦.
- ٢٨- التحرير والتنوير: ٢١/ ١٥٤.
- ٢٩- يُنظر: المصدر نفسه: ٢١/ ١٥٥.
- ٣٠- الكشاف: ٨٣٧.
- ٣١- إستراتيجيات الخطاب: ٤٤٧.
- ٣٢- يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن/ ٦٠٩، مادة (غفر).
- ٣٣- الكشاف: ٣٨٩.
- ٣٤- إستراتيجيات الخطاب: ٦٢.
- ٣٥- الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية: ٣/ ١٠٧٠، مادة (حرض).
- ٣٦- يُنظر: الكشاف: ٥٠٦.
- ٣٧- يُنظر: المصدر نفسه: ١٠١٣.
- ٣٨- يُنظر: المصدر نفسه: ١٠١٣.
- ٣٩- التداولية أصولها وأوجهاتها: ١٠٦.
- ٤٠- يُنظر: التداوليات علم استعمال اللغة: ٣٣٥.
- ٤١- إستراتيجيات الخطاب: ٣٢٥.
- ٤٢- التداوليات علم استعمال اللغة: ٣٣٥.
- ٤٣- التحرير والتنوير: ٢٩/ ٨٦، ويُنظر: مقاييس اللغة: ٩١٤، مادة (وسط).
- ٤٤- يُنظر: الكشاف: ١١٣١، والتحرير والتنوير: ٢٩/ ٨٦.

مصادر البحث

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب - القاهرة- الطبعة الأولى - ٢٠١١.
- إستراتيجيات الخطاب - مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهرّي، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤.
- الاستنزام الحوارّي في التداول اللسانيّ - من الوعي بالخصوصيّات النوعيّة للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي أدراوي، دار الأمان- الرباط، ومنشورات الاختلاف - الجزائر العاصمة- الطبعة الأولى - ٢٠١١.

- البحر المحيط، محمّد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمّد عوض، دار الكتب العلميّة - بيروت - الطبعة الثالثة - ٢٠١٠.
- البراجماتيّة اللغويّة، ستيفن ليفنسون، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠١٥.
- التحرير والتنوير، محمّد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسيّة للنشر - تونس - ١٩٨٤.
- التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحقّ، دار التنوير - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٣.
- التداوليّات علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث - إربد - الأردن - الطبعة الأولى - ٢٠١١.
- التداوليّة أصولها واتّجاهاتها، جواد ختّام، دار كنوز المعرفة - عمّان - الطبعة الأولى - ٢٠١٦.
- التداوليّة عند العلماء العرب - دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللسانيّ العربيّ، مسعود صحراوي، دار الطليعة - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٥.
- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود بن محمّد العماديّ الحنفيّ (٥٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - د. ت.
- الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (٥٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٧٩.
- العقل واللغة والمجتمع - الفلسفة في العالم الواقعيّ، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانميّ، منشورات الاختلاف - الجزائر - الطبعة الأولى - ٢٠٠٦.
- في البراجماتيّة - الأفعال الإنجازيّة في العربيّة المعاصرة - دراسة دلاليّة ومعجم سياقيّ، علي محمود حجّي الصرّاف، مكتبة الآداب - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠١٠.
- في اللسانيّات التداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربيّ القديم، خليفة بوجادي، بيت الحكمة - الجزائر - الطبعة الأولى - ٢٠٠٩.
- القاموس الموسوعيّ للتداوليّة، جاك موشر، وأن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا - تونس - ٢٠١٠.
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزميّ (٥٣٨هـ)، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة - بيروت - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٩.
- مدخل إلى نظريّة الفعل الكلاميّ، جوتس هنده لانج، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق - القاهرة - الطبعة الأولى - ٢٠١٢.
- المشيرات المقاميّة في اللغة العربيّة، نرجس باديس، مركز النشر الجامعيّ - تونس - ٢٠٠٩.
- معالم التداوليّة في كتاب النظرات للمنفلوطيّ، عبدة العززيّ إبراهيم العززيّ، مؤسّسة حورس العلميّة - الإسكندرية - ٢٠١٧.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانيّ (٥٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ذوي القربى - قم - الطبعة الرابعة - ١٤٢٥هـ.
- مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا (٥٣٩٥هـ)، ربّبه وصحّحه: إبراهيم شمس الدين، الأعلميّ - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠١٢.
- نظريّة الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيّين العرب، طالب سيّد هاشم الطبطبائيّ، مطبوعات جامعة الكويت - الكويت - ١٩٩٤.
- نظريّة الفعل الكلاميّ بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربيّ والإسلاميّ، هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، والشركة المصريّة العالميّة للنشر - مصر - الطبعة الأولى - ٢٠٠٧.

الرسائل الجامعيّة والبحوث المنشورة

- الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار - نماذج من القرآن والحديث، أمانة بلعلي، مجلّة التراث العربيّ - العدد التاسع والثمانون: ٢٠٠٣.
- الحجاج في خطابات النبيّ إبراهيم (عليه السلام)، سعديّة لكحل، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري - كليّة الآداب واللغات.
- عوامل تشكيل بناء السلطة في الأسرة المعاصرة، سميحة عليوات، وبن حسّان زينة، الملتقى الوطنيّ الثاني حول الاتّصال وجودة الحياة في الأسرة جامعة قاصدي مرباح - كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة - ٢٠١٣.